ثنائيّة الحُضور والغَيْبَة في سورة الحُجرات

د. محمود حسين الزهيري*

تاريخ وصول البحث: ١٧/ ٤/ ٢٠٢٢م تاريخ قبول البحث:١٧ /٧/ ٢٠٢٢م

الملخص

تحاولُ هذه الدراسة تناولَ ثنائيّة "الحضور والغَيْبَة" في سورة الحُجرات، وهي قضيّةٌ بلاغيّة تتبعُ الالتفاتَ في الضمائر والأفعال، وقد اتَّكأت على المنهج الوصفي التحليلي مُوَظِّفَةً إيّاهُ في الوقوف على نداء المؤمنين، والأدب مع النبي ﷺ وأثرَ الضمائر وآلات الخطاب وطرائقها في إيصال المفهوم والمراد، فَتَبَيَّنَت كيف كان النصُّ يبرزُ أقوامًا ويغضُّ غيرَهم، فَيُعلي أحيانًا من قدر أولئك وَيَحُطُّ في أخرى من قدر هؤلاء، وقد قُسِّمَت الدراسة خمسةَ مقاطع، كانت الضمائرُ في كلٍّ منها تُظْهِر أبعادًا نقديّة وَتُجَلّي تطويعًا لُغَويًّا، ولوحِظَ فيها أنَّ ثنائيّة الحُضور والغَيْبَة تبني مجموعة منَ الروابط السياقيّة وتثري الأبعاد النقديةّ وتوجِدُ تناسقًا فيما بينها.

الكلمات المفتاحيّة: حُجرات، حضور، غَيْبَة، التفات، ضمائر.

The Duality of Presence and Absence in Surat al-Hujurat

ABSTRACT

This study attempts to address the duality of “presence and absence” in Surat Al-Hujurat, which is a rhetorical issue that follows attention in pronouns and verbs. In conveying the concept and the intent, it became clear how the text highlighted people and disparaged others, sometimes elevating the value of those and degrading in others the value of those. The study was divided into five sections, the pronouns in each of them showing critical dimensions and manifesting linguistic adaptation. it was noted that the dichotomy of presence and occultation builds a set of contextual links, enriches critical dimensions, and creates consistency between them.

Keywords: Rooms, Presence, Absence, Attention, Pronouns.

*أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية .

المقدمة:

تتَّخذ سورة الحُجرات نهجًا فريدًا في عرض قضاياها وتناول موضوعاتها، فما إن تُفتَتَحَ حتى يُلمح فيها أدبٌ خاصٌ وبيانٌ بليغٌ في جلب أسماع المتلقين، الذين هم المتفاعلون مع الحدث المتلقون للخطاب المستجيبون له، فالخطاب لا يوجَّهُ إلّا لمن عَقلَهُ وَفَهِمَ مرادَه، واستلهم ما فيه من معانٍ تأخذ به إلى الوجهة التي يُراد له أن يبلغها.

وهدفت الدراسة إلى تجلية ثنائيّة الحضور والغَيْبَة في الخطاب بُغيَةَ الكشف عن مدى أهميتها في تَلَوُّنِ النصِّ وانتخابِ اللفظِ وَتَخَيُّرِ المعنى، وَرَجاةَ ربطِها بالعلاقات من ضمائر وأفعال؛ لذا وَظَّفَت المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ لبيان الروابط التي نهجها النصُّ في علاقاته وبنيته وتناسق جمله وعباراته.

ولمّا كان الحضورُ والغيابُ جزءًا منَ الالتفات، وكانا وسيلةً لِتَبَيُّنِ تفاعل القارئ مع النص، وكان القرآن الكريم قد نزل على لغة العرب وأساليبها وطرائق كلامها، فإنَّ الخطاب بالحضور والغَيْبَة يكشفُ عن آليّة عميقة في فهم النص تقومُ على المواءمة بين المخاطب والمستمع والزمان والمكان والحضور؛ إذ يُخرج القارئ من الالتفات إلى التورية وإلى مخاطبة الحاضر بصيغة الغائب والغائب بصيغة الحاضر؛ ترويحًا للسامع وتنشيطًا لاستقباله الكلام.

ولمّا كانت سورة الحُجرات من السور التي تعدَّدَ فيها الخطابُ وتلوَّن لبلوغ مراده وأهدافه، فقد قصدت الدراسةُ إلى جلاء ذلك وبيانه.

الدراسات السابقة:

جرت على سورة الحُجرات دراساتٌ كان أغلبُها في ثنايا كتب التفسير عند القدماء، من مثل: القُرطبي في الجامع لأحكام القرآن، والطبري في تفسيره، وابنِ كثير في التفسير العظيم، دارت حول تأويل آياتها، وحوت إشاراتٍ إلى الضمائر. أمّا المفسرون المحدثون، من مثل: سيِّد قطب في الظلال، والعاشوري في تفسيره، وغيرهما، فتناولوا آياتِ هذه السورة على نحوٍ عصري، ولم يخلُ جهدُهم من بعض الإشارات إلى الضمائر ومن تعريج على أساليب الخطاب. أمّا سورةُ الحُجرات منفردةً، فقد قامت بعضُ الدراسات على تفسيرها ووقفت على كشف آدابها العامة، من مثل: دراسة ناصر بن سليمان العمر، الموسومةِ بِـ "سورة الحُجرات: دراسة تحليليَّة وموضوعيَّة"، وانقسمت جزأين؛ أولهما دراسة الآيات وتفسيرها على نحوٍ تحليلي، وثانيهما دراسة موضوعيَّة شاملة تناولت جوانبَها البلاغيَّة في ثماني وقفات، من غير إشارة إلى الالتفات أو علاقة الحضور والغياب. وفي الشِّعر تناول بسام قطوس الحضورَ والغيابَ في كتابه المُعنون بِـ "استراتيجيات القراءة" في مبحث علائق الحضور والغياب في شتاء ريتا الطويل، متَّخِذًا الرمزَ وسيلةً إلى تبيين علاقة محمود درويش بريتا. وعليه، فقد اختلفت الدراسةُ السالفةُ الذِّكر عن دراستي الحاليَّة من حيثُ استخدامُ الضمائر والأفعال في توثيق عُرى النصِّ وبيان جمالياته وأساليبه التركيبيَّة. ومن الدراسات الأُخرى ذات الصِّلة بالدراسة الحاليّة

دراسةُ محمود الزهيري الموسومة بـ"أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عَمَّ"؛ إذ ضَمَّنَها مبحثًا خاصًّا وقف فيه على الحضور والغيبة، ولم يتجاوزهُ إلى سِواه. فضلًا عمّا سَلَف، فقد تناولت الدراسةُ الحاليَّةُ سورةَ الحُجرات كاملةً، مركّزةً على جزئيَّة الحضور والغيبة، ومفصِّلةً القولَ فيها من جوانبَ عِدَّة.

الحضور والغَيْبَة

ثنائيّة الحضور والغَيْبَة لونٌ بلاغي جرى في لغة العرب وكلامهم، وتناوله البلاغيون في حديثهم عن الالتفات وتلوُّنه ما بين الغائب والحاضر والتفاعل مع الآخر، "وهو العدول عن مساق الكلام إلى مساقٍ آخرَ مُتَمِّمٍ للأول على جهة المثل أو غيره، وقد يكون من الغَيْبَة إلى الحضور، كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٤-٥]، وبالعكس كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[يونس: ٢٢]."[١]

وقد تنبَّه السابقون إلى أهميَّة الالتفات في ترويح سامع الخطاب ومتلقيه، ونظروا إليه بِوَصفِهِ ضرورة في كلام العرب ووسائل خطابهم؛ إذ جرى في حديثهم نظرًا إلى تفنُّنِهم في صناعة القول وأضرُب إلقائه.[٢]

على أنّ المحدثين يرونه تفاعلًا بين النصّ والقارئ وثنائيّة القراءة وإشكاليّة الخطاب[٣]؛ لأن لمشاركة القارئ الواعي في دراسة النص مكانتها وقدرتها في كشف غوامضه وإضاءة جوانبه؛ إذ هي دراسةٌ مُتَعَيِّنة، فالمنتج لا يكتب إلّا لمتلقين يفهمونه أو يريد منهم الفهم، والمتلقي يشارك المنتج في جلاء الإدراك وتصوُّر المعنى المراد، والحضور يساهمون في تخصيص الحدث أو عدم تخصيصه.[٤]

ويعدُّ القرآنُ الكريم أكثرَ النصوص حيويّة ونشاطًا في جلب أسماع المتلقين والتأثير فيهم، بل إنه يسيطر على الأسماع ويؤثر في العقول والقلوب ويسلك طريقة التلوُّن في مخاطبة المتلقين، فيخاطبهم حضورًا وغَيْبَة وجمعًا وإفرادًا، وأحيانًا يخاطب الجمع بصيغة الغَيْبَة والغَيْبَة بصورة الحاضر، "ويلحظ في القرآن الكريم أنّ كثيرًا من الخطابات جاءت للحاضر المشاهد والمتلقي، كالتاء والكاف وغيرهما، وكأنها تحدِّثهم بما يشاهدون أو يحسون ويرون، ومنها ما جاء بالغَيْبَة، كالياء والهاء وضمير الغائب للجمع أو المفرد سواء"[٥]، ومن جرّاء هذه الجزئية يُوَظِّفُ الخطابُ القرآنيُّ أحيانًا، بل في أحايينَ كثيرة، هذا الأسلوبَ ليبرزَ جانبًا ويغضَّ الطرفَ عن آخَرَ؛ قصدًا إلى الأهميّة أو العناية أو تشاكلًا في انسجام الخطاب وتناسق الأسلوب[٦]. وعليه، فتظهرُ ممّا سبق أهميّةُ علاقة الحضور والغَيْبَة في دراسة النصوص وتفاعل المتلقي ومشاركته المنتج.

وسورة الحُجرات مدنيّةٌ بإجماع، نزلت في المدينة المنوّرة على رسول اللهﷺواختُلِفَ في سبب نزولها على أقوال عدّة كُلِّها صحيح، غيرَ أنها تدخلُ تحت العموم[٧]، وَيُظَنُّ أنّ سبب النزول كان مناسبةً لِسَوْقِ أحكام كثيرة وآداب عامّة أُريدَ لها أن ترتقيَ بالمجتمع زمن رسول الله ﷺ، إلى أعلى

درجات الرّقي "لعالَم رفيع كريم نظيف سليم، متضمّنةً القواعدَ والأصولَ والمبادئَ والمناهجَ التي يقوم عليها هذا العالَم".[٨]

مطالعُ السورة:

استهلَّتِ السورةُ مطلَعها بالنداء ﴿يا أيُّها الذين آمنوا﴾، وهو نداء لمتلقين حاضرين يشاهدون التنزيلَ ويلمسونه بحواسِّهم مجتمعةً؛ إذ إنهم يحسّون "أنهم في هذا الكوكب عبيدُ اللهِ وجندُه، وأنهم هنا لأمر يقدِّره سبحانَهُ ويريده، فأولى بهم أن يقفوا حيث أراد لهم عَزَّوَجَلَّ أن يكونوا، وأن يقفوا بين يدي الله موقفَ المنتظر لقضائه وتوجيهه".[٩]

وَيُعَدُّ النداءُ بهذه الصيغة لونًا من خطاب المدح والثناء؛ إذ إنه يميِّزهم عن غيرهم من أهل مكّة[١٠] وسواها بالهجرة والإيمان، فحين مَيَّزَهُم مَدَحَهُم وأثنى عليهم ليسترعوا أسماعهم وينصرفوا بوجدانهم نحوَ الخطاب، وغالبًا لا يكون النداءُ إلّا لحاضر أو مستمع، وَلِمَنْ يصلح لأن يُجيب، والحرفُ "يا" أكثرُ حروف النداء استعمالًا؛ إذ يُنادى بها القريبُ والبعيد، أمّا القريبُ فينادى بها توكيدًا، وإن اشتركت في القريب والبعيد[١١]، لكن حين كان النداء منَ الله لعباد يؤمنون به فإنه إيحاءٌ للحضور والقرب. وعليه، فَيُلحظ أنَّ في افتتاح السورة بهذا النداء تنبيهًا للأسماع إلى ما يريد اللهُ ويقصد، فالذين آمنوا أشدُّ حبًّا للنداء وأكثرُ تلذذًا بسماعه منَ الاستجابة له؛ إذ هم ينافسون في تلبيته رغبةً وسرورًا بالمدح والتميُّز.

وقد تَعَدَّدَ النداءُ في ثنايا السورة بصيغة: "يا أيُّها الذين آمنوا" خمسَ مرّات، يُلمَحُ فيه الحضورُ جليًّا، ولا يكون التَّكرارُ إلّا لهدف، "ولا ريبَ في أنَّ الإلحاح على جزء منَ العبارة بتكراره يؤدي إلى تسليط الضَّوء على نقطة حسّاسة فيها ترتبط بدلالات نفسيّة وعميقة في آن"[١٢]، غير أنه في الوقت الذي أحضَرَ المؤمنين بالنداء غَيَّبَ الكافرين إهمالًا لهم وتصغيرًا لشأنهم، ولمّا خاطب المؤمنين بهذه المواجهة والتشريف فقد غَضَّ في المقابل من مقام الكافرين إعراضًا عنهم لإعراضهم عن الدعوة، وقد "كَثُرَ الخطابُ بيا أيُّها الذين آمنوا، وفي ذلك دليلٌ على المواجهة، أمّا في جانب الكفار فدليلٌ على الغَيْبَة والإعراض"[١٣]، ولم تكن تلك الغَيْبَة أو ذلك الحضور إلّا قصدًا إلى مكانة المخاطب في أجزاء السورة؛ لأنَّ موضوعها تناول رفعةَ الأخلاق ورقِّيَ التعامل وشرفَ المكانة.

وقد رافق كلَّ نداء ندبٌ وحثٌّ على أمر غاية في الرفعة والنبل، فالنداءان الأوّلان أدبٌ مع رسول الله ﷺ؛ إذ هم لا يتقدَّمونه بأمر أو نهي أو حكم﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾[الحُجرات: ١]، وهم منهيّون عن أن يتكلّموا بين يدي كلامه أو يقولوا بخلاف الكتاب والسُّنَّة أو يقضوا أمرًا من شرائع الدين دون الله ورسوله[١٤]؛ وَبِذا جُعل النداءُ الأوّلُ توجيهًا لتوقير النبي ﷺ وتعظيمًا لمكانه، ولمّا كان النداء يعني أدعو أو أنادي فهم إذن حاضرون يشهدون، فخاطبهم حضورًا تلوَ النداء بالنهي "لا تقدّموا" بتاء المخاطب قصدًا لأمر مهم؛ إذ "كلُّ نداء

في كتاب الله يعقبه فهم في الدين، أمّا من ناحية الأوامر والنواهي التي عُقدت بها سعادة الدارين فهي إمّا مواعظُ وزواجرُ أو قصصٌ لهذا المعنى".(١٥)

ومن جرّاء التأمُّل يظهرُ أنَّ الخطاب كان في الآيات الثلاث الأولى في مطلع السورة حضورًا للمؤمنين في غَيْبَة النبي ﷺ؛ إذ جاء خطابُهم من الله وجاهيًّا على الرَّغم من أنَّ النبي ﷺ هو من قرأ عليهم الآياتِ وأبلغهم بها، لكنَّ تلك الآيات تحدَّثت عنه بضمير الغَيْبَة، فرفعه ربُّهُ وخاطب المؤمنين طالبًا أن يكونوا على هذا النَّحو أدبًا معَ رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحُجرات: ١-٣]. وأغلب ضمائر الجمع حضوريّة، وهي إمّا بالتاء أو الكاف: تقدموا، ترفعوا، تجهروا، تحبط، أصواتكم، بعضكم، أعمالكم، وفي ذلك تنويهٌ واضح إلى أنَّ النبي ليس مقصودًا بهذا النداء؛ إذ كيف يُقصَدُ التأدُّبُ معَ النبيّ والنبيُّ ﷺ هو المطلوبُ التأدُّبُ معه، وملاحظة الضمائر في غيابها وحضورها يُعطي بُعدًا جماليًّا في إبراز المقصود منَ الخطاب وضروريّة الحصر أو التوجُّه؛ "إذ كثيرًا ما تضيءُ الضمائر أفقَ النص، وقد تَستغلِقُ حتى يُجهد العقلُ في تحليلها والنظر إلى من تعود".(١٦)

فحين ذُكِرَ النبيُّ ﷺ بضمير الغَيْبَة في تلك الآيات الثلاث وَجَّهَ إليه الخطابَ في الآيتين الرابعة والخامسة منفردًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾[الحُجرات: ٤-٥]، بالتاء والكاف: ينادونك، تخرج، واختار فعل النداء "ينادونك" وركَّبَ عليه ضمير الخطاب "الكاف" في إشارة إلى أنَّ المنادين في غَيْبَة عن الأدب وَحُسن التصرُّف؛ لذا أتبعها بقوله من وراء الحُجرات "كناية عن موضع خلوته ﷺ ومقيله معَ بعض نسائه".(١٧)

ومقارنةً بين ثنائيّة الحضور والغَيْبَة يتجلّى بُعدٌ آخَرُ، فالنبيُّ في خلوه ووقت خاصَّته، والمنادون في حضور وضجّة، وقد أثَّرَ ذلك في نفسِه ﷺ "مُنكِرًا عليهم أنهم نادوه من البَرِّ والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد جهة إلى جهة دون جهة...، وفي مناداتهم من وراء الحُجرات احتمالُ أنهم قد تفرَّقوا عليها متطلِّبين له، فناداه بعضٌ من وراء هذه، وبعضٌ من وراء تلك، فأتوها حجرةً حجرةً منادينَ من ورائها"(١٨). وتبرز الصورة في الثنائيّة في توظيف الفعل وصوته "ينادونك" من جرّاء صوت النون والدال والكاف؛ لِيَبْرُزَ شيءٌ منَ الضَّجَّة في المناداة، والنبي ﷺ في وقت خلوته وراحته؛ لذا جعل

شبه الجملة "من وراء الحُجرات" حاجزًا نفسيًّا بينه وبينهم ليوازنَ بين حضورهم بهذه الجلافة والغِلظة من جهة وهدوء النبيّ ﷺ وسكينته وتؤدته من جهة أخرى.

إنَّ هيمنة ضمائر الغَيْبَة في جانب المنادين تحملُ دلالاتٍ إيحائيّةً عميقة تكشف عن غيبتهم عن حاضرٍ مشهود ومظاهرَ حضاريّة لم تُؤلَف من أصحاب رسول الله ﷺ المرافقين له الملتصقين به دائمًا، فكان تصرُّفهم نشازًا استوجب التأديب واقتضى الحديث عنهم بضمائر الجمع "الغَيْبَة" إعراضًا عنهم: ينادون، أكثرهم، يعقلون، أنهم، صبروا، إليهم، لهم، فَحَشْدُ الضمائر تلك يحملُ في طيّاته بُعدًا لتصوير جلفهم وشدة غِلظتهم وَبُعدهم عن مظاهر الأدب الحضاريّة التي كان يتمتع بها الملاصقون للنبي المرافقون له، "فوصفهم الله بأنَّ أكثرهم لا يعقلون، وكرّه إليهم النداءَ على هذه الصِّفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبيﷺ"[١٩]

المقطع الثاني وتوجيه المخاطبين

استُعمل المقطع الثاني منَ السورة بحشد ضمائر خطاب حضوري للمؤمنين بعد النداء المُحَبَّب لهم﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾[الحُجرات: ٦-٨] مبرزًا أهميَّةَ تلقّيهم ذلك الخطاب بالكاف أو التاء، معوِّلًا على استجابتهم لِما يُراد لهم من إنصاف وتثبُّت في معاملات الحياة اليوميّة وتجاذباتها: جاءكم، تبيَّنوا، تُصيبوا، تصبحوا، فعلتم، فيكم، يطيعكم، عِنتم، إليكم، قلوبكم؛ إذ يلمَسُ المُتأمّلُ في ضمائر مخاطبة المتلقّين تلك أنَّفي الأمر عنايةً خاصَّة؛ فهم المقصودون بالخطاب المتحمّلون لما فيه المنفذون له؛ لِذا جاءت الضمائرُ كُلُّها حضوريّةً وَكُثِّفَت بحيثُ حملت أبعادًا أخرى إيحائيّةً، "وتحوَّلت بين الإفراد والتثنية والجمع، والمخاطب والمتكلِّم والغائب؛ ممّا منح النصَّ دلالاتٍ جديدةً لا تتوافر له إذا ظلَّ سائرًا على المستوى الذي كان عليه"[٢٠]. وعليه، فَتُلمَسُ في استثمار تلك الضمائر بهذا الحضور طاقةٌ جَلِيَّة تَنْفُذُ إلى أنَّ غيرَهم في غَيْبَة عن هذه التشريعات الراقية المنصفة لأفراد الجماعة، التي تصونُ حريَّتهم وتحفظُ خصوصيَّتهم؛ لِذا انتُخِبَت لفظتا "قومًا بجهالة" على الغَيْبَة؛ لِيُدرِكَ القائمون على الأمر والقيادة غفلةَ هؤلاء المظلومين، الذين ربَّما أصابوهم من غير وجه حق؛ لِذا عُبِّرَ عنهم بالغَيْبَة والبُعد عن الشُّبُهات؛ إذ هم غافلون عمّا أُريد بهم من سوء لم يرتكبوه، فأعطت الصيغة بهذه الغَيْبَة جمالًا وكانت لفتة فنيّة، فجاءت بلون منَ الندم والحسرة حين تعتري الشخصَ أو الجماعة حالَ التَّسَرُّع في الحكم، فالذين جاءهم الفاسق بالنبأ الكاذب منتبهون يقظون، على حين أنَّ المُتَّهَمين غافلون تعلوهم البراءةُ ويكسوهم الصَّفاء.

وانصبَّ الخطابُ على ضمائر الحضور بصيغة الجمع مُستأثرًا بها دون سواها وجاعلًا من الفعل الجمعي منفذًا إلى حضور كلٍّ منهم بذاته أوَّلًا، ثمّ بموافقته الجماعة في التحرّي عن غائبين، فوظَّفَ ضمائرَ الغَيْبَة وإن كانت قليلة في الآية لِبُعدٍ واضح؛ إذ جعل الفعل يتسلَّطُ على "قومًا" ووصفه بجهالة إيغالًا في تصوير ضعف المُتَّهَم زورًا أمام الجميع، وهذا التلوُّنُ في الخطاب ممّا "يمكن به توسيعُ هذا المنحنى التقابلي في الضمائر بُغيَةَ إدراكِ الذوات التي تُحيل عليها على نحوٍ أفضل، وهي استراتيجيّة قرائيّة مفيدة، فكثيرًا ما يسمح إرجاعُ الضمائر إلى ما تُحيل عليه بفهم أفضل".[٢١]

على أنه حين تابع السياقُ حديثَهُ عن التحذير من عدم التثبُّت والتأكُّد نَوَّهَ إلى مكانة الرسول فيهم بصيغة الغَيْبَة، فاختار لفظة "يطيعكم" بصيغة الضمير الغائب على الرَّغم من أنه قدَّمها "واعلموا أنَّ فيكم رسول الله"، فوظَّفَ الجارَّ والمجرور، "فيكم" لينبّه على أنَّ مكانته بين أظهرهم أشهرُ وأعظمُ من أن تُذكر، لكنهم ربَّما غفلوا عنها، فتشاوروا فيما بينهم، وأخذهم الحماسُ والحِمية من غير رويَّة أو تأنٍّ، فناسب تلوين الضمائر والصيغ ليدركَ المتلقّون خطورة ما يعزمون عليه من غير إرجاع الأمر لصاحبه ﷺ أو استشارته وأخذ أمره. ولمّا كان الموقفُ هكذا عطف عليها فضلَ زينة الإيمان، مذكِّرًا ومشددًا، لكنه استخدم الأفعالَ الماضية معَ ضمائر غَيْبَة لمّا غاب عنهم تلمُّسُ تلك النعمة واستشعارها، فـ"حَبَّبَ إليكم الإيمان؛ أيكَرَّهَ إليكم الكفرَ والفسوق والعصيان، وحينما كان هذا حالهم -وربَّما سبق إلى أذهانهم التسرُّع والعقاب- التفتَ عنهم بصيغة الغَيْبَة قائلًا: "أولئك هم الراشدون"، وكأنه أراد أنَّ مَنْ تَسَرَّعَ العقوبةَ واستعجلَها على هؤلاء القوم وظنَّ بهم الظنونَ لا يكون راشدًا، فاستبعد الرُّشدَ عنهم وغيَّبَ مخاطبتهم بالحضور لعلَّهم يبحثون عن هؤلاء الراشدين الذين منحهم القرآن الكريم هذه الصِّفة والخُلُقَ الرفيع، "فالضمائر، خاصة منها ضمائر الغَيْبَة، تقوم بوظيفتين: استحضار عنصر متقدِّم في خطاب سابق، أو استحضار مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق"[٢٢]، وواضحٌ أن ضمير الغَيْبَة في "هم الراشدون" استحضر كلَّ ما سلفَ في سياق الآيات من تحذير وتنويه وترغيب، وجعل السابق لونًا من تجاوز الحدِّ في ظلم الناس والتعدّي عليهم بجهالة؛ لِذا خُتِمَ بضمير الغَيْبَة لينبّهَ أين أصحاب العقول الرشيدة، وتلك لفتةٌ فنيّة في الموازنة والمقارنة بين الحضور والغَيْبَة، ويؤكِّد ذلك قفلُ الآية الأخيرة في المقطع: "فضلًا من الله ونعمة"؛ إذ اختُلِف في إعرابها مفعولًا لأجله أم مصدرًا من غير فعله، واختُلف في ناصبه على الأوَّل فقيل هو حَبَّبَ إليكم أو تبتغون فضلًا ونعمة[٢٣]، فجعلَ بذلك الغَيْبَة عمّن تسرَّعوا في الحكم وأخذهم الحماس والحمية، فكأنه حذَّرهم بوجه جميل؛ ألّا تُضَيِّعوا وَتُفَرِّطوا في فضله ونعمته.

المقطع الثالث:

طرح المقطع الثالث قضيَّةً عامَّة تَحْدُثُ في المجتمع، وتؤدّي إلى ضرر كبير وفحش بين أبنائه، فخاطبهم بغير أداة النداء المحبَّبة قائلًا:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ

إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[الحُجرات: ٩-١٠]، فجسد هذا المقطع قاعدة لصيانة المجتمع منَ التفكُّك والتشرذُم والجري خلف النزوات كي لا يقع المجتمع تحت سطوة الاندفاعات[٢٤]، والعجلة والحمية من جرّاء التعصُّب لفريق ضدَّ فريق بغير وجه حق.

ولمّا كان النصُّ القرآنيُّ فريدًا في توظيف اللغة وتطويعها، سواءٌ أكان ذلك على المفردات أم الضمائر، فَتُلحَظُ قِلَّةُ الضمائر في هذا المقطع ممّا يخصُّ الحضور، بل تحدث عن القضيّة بالغَيْبَة بلاغة جليَّة نفذَ منها إلى أبعادَ متعددة، فالنصُّ يتحدث عن احتمال وقوع خلاف يُفضي إلى الاقتتال والنزاع، وتلك نادرة الحدوث بين صفوف المؤمنين الصادقين، لكنها قد تقع، فناسبَ استخدام ضمائر الغَيْبَة وتغليبها على الحضور إشارة إلى استبعاد أن يقع مثل ذلك بين المؤمنين، وعدلَ عن ضمائر الحضور بأفعال الأمر؛ أصلحوا، قاتلوا، أقسطوا، ولم يُظهر أيَّ ضمير للحضور المخاطب سوى قوله: "أخويكم"، "لعلَّكم"، "ترحمون"، على حين أن بقيَّة الضمائر والخطاب جاءت بسياق الغَيْبَة عن قوم ليسوا منَ الحضور، فشخَّصَ هذا المقطع حدثًا قد يقع، غيرَ أنه خارج إطار المجتمع المتوائم، وكأنه يتحدَّثُ عن قوم اقتتلوا في مكان غير هذا المكان، يُلمس ذلك من جرّاء ثنائيَّة الحضور والغَيْبَة في الضمائر، وتلك لفتةٌ إلى أنَّ القرآن الكريم طوّع اللغة بما فيها من أصوات وصيغ وتراكيبَ ودلالات قواعد وأحكام".[٢٥]

وتناسقَ ختامُ المقطع بالحضور معَ مطلعه بالغياب، فلمّا ساق الحديث عن إشكاليَّة تؤدي إلى الاقتتال في بداية المقطع، وصوَّرَ القتالَ الدائر والخصومة المستعرة بين طائفتين، ووفود الصلح بينهم لا تجدي، أمرَ المصلحين أن ينتصروا للحق فيقاتلوا البُغاة حتى يفيئوا إلى أمر الله والصلح، فجاء الختامُ بالحضور وبكاف الخطاب جماليَّةً وإلماعًا إلى أنَّ القتال قد انتهى وأنَّ الحرب وضعت أوزارَها، وأنَّ المجتمع قد آبَ إلى رشده والتأم الجرح فأصبحوا كلُّهم في صفٍّ واحد طائعين، فخاطبهم بالحضور بعد الغَيْبَة.

وقد تَوَسَّطَ هذا المقطعُ منَ السورة مقطعين، أوَّلهما: ما كان يخصُّ الأدبَ معَ ﷺ ومخاطبته وتوقيره والاستئذان عليه، ثمَّ ما كان من حكم الجماعة في التثبُّت والعدل، وإفساح المجال بين يديهﷺ، في إصدار قضائه وأحكامه من غير تدخُّل من أحد، وجاء ثانيهما بعد هذا المقطع في التأدُّب ورفعة المجتمع من أسلوب السخرية والهمز واللمز فيما بينهم، وفي كلا المقطعين المحيطين بهذا المقطع حشد القرآنُ الكريم تكريرًا لأداة النداء وجملتها "يا أيُّها الذين آمنوا"، فكان المقطع واسطة العقد، ولعلَّ تلك الإشارات القرآنيَّة في ترتيب الآيات تُشيرُ إلى أنَّ أهل الوسط هم المصلحون العدول

بين طرفي المجتمع المقتتلين؛ لِذا فإنه لم يصدّرها بهذا النداء واكتفى باستخدام "إن"، التي تقتضي قِلَّةَ احتمال الحدث معَ جواز احتماله؛ ليحقق بُعدًا عميقًا في ترتيب الآيات وتوسُّط المقطع.

المقطع الرابع:

يمثلُ هذا المقطع جزءًا منَ السورة مُتَّخِذًا النداءَ المُحَبَبَ لديهم مدخلًا إرشاديًّا لقضيَّة اجتماعيَّة كانت سائدة في ذلك الزمان وانسحبت على فترات إلى هذا الزمان، هي السخرية واللمز والتنابز بالألقاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾[الحُجرات: ١١-١٢]. ولمّا كانت معالجة القضايا الاجتماعيَّة تستدعي أسلوبًا خاصًّا في مواجهة المتلقين لإقناعهم أو زجرهم عمّا هم فيه، وكانت بلاغةُ القول (جمالُ التركيب) أجملَ وسيلة للإقناع؛ إذ به يُتَوَصَّلُ إلى مخاطبة العقل والروح والوجدان، فهيمنُ على المتلقين ويسيطرُ عليهم، و"البلاغة عنصرٌ مهمٌّ في الإقناع، والإقناع غاية الجدل الكلامي، فقد غدا التناسبُ بين المعاني والمستمعين مدارَ القول في البلاغة الخطابيَّة، ومنه استمرَّ تعريفُ البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[٢٦]. ورتَّبَ بعد النداء تلاحقًا في الكلام والتركيب بصيغة الغَيْبَة، لتؤدّي غرضًا بلاغيًّا، لكنَّهُ وَظَّفَ أفعالًا مضارعة إشارةً إلى أنَّ هذا الفعلَ مستمرٌّ وَمُتَجَدِّدٌ بين فئات المجتمع وشرائحه: يسخر، يكونوا، يكن، يتب، تجسسوا، يغتب، يأكل، تكثيفًا لهذه الصيغة، وتهيئةً للمتلقي أن يتدبَّرَ ويعي ثمَّ يقنع بما يُوَجَّهُ إليه، "ولو تدبَّرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيتَ حركاتِها الصرفيَّةَ واللُّغَوِيَّةَ تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسِها فيما هي له من أمر الفصاحة فَيُهَيِّئُ بعضها لبعض، ويساند بعضًا".[٢٧]

إنَّ توظيف الألفاظ في النصَّ يُفضي إلى استخدام ضمائرَ وصيغٍ يتبع بعضُها بعضًا ليؤدّي غرضًا بلاغيًّا يصلُ إلى الإقناع والإفهام، وكلُّ عنصر منها مهمٌّ في سياقه لا يتجاوزه إلى غيره بل يسانده، ليشكِّلَ صياغة تصل بالمتلقين إلى ما أراد "لنقل – بتعبير أوضح – إنها بنية عضويَّة، وهذا يعني أنَّ أيَّ تغيير في أيِّ عنصر من عناصرها سَيُحدِثُ تغيُّرًا في بقيَّة العناصر من جهة، وتغيُّرًا في شكل المعنى من جهة أخرى، فإذا نظرنا في وحدات الأسلوب (التراكيب) وجدنا أنَّ ما قلناه في الأسلوب يصحُّ قولُهُ في التراكيب من حيث إنَّ كلًّا منها بنية صُغرى تتآزرُ عناصرُها متفاعلة"[٢٨]؛ وَبِذا ركَّزَ النصُّ على أفعال المضارعة وعلى ضمائر الغَيْبَة لِبُعدٍ أرادَه، ومثلُ هذا الخُلُق لا ينبغي أن يكون بين قوم يتآزرون في ما بينهم؛ لشدة إفساده وخبث نتائجه. وقد لُحِظَتِ الضمائرُ في: يكونوا، منهم، يكن، منهن، تلمزوا،

تنابزوا، يتب، وكلُّها جاءت على الغَيْبَة، وكأنه ينفي أو يستبعد أن يكون قوم بهذه الصفة وهذا الخلق، وفي ذلك إيحاءٌ بعيد إلى أنَّ المجتمع النظيف تنتفي منه هذه الصفة؛ فالرقي والرفعة تقتضيان أن ينظر المتلقون أوَّلًا إلى مستوى الإنسانيَّة وليس إلى طبقاتها وسفاسفها المقيتة.

وانحصرت ضمائر الحضور في ثلاثة ألفاظ اتصل اثنان منها بأفعالٍ التفاتًا: تلمزوا تنابزوا، وثالثها خاطبهم بكاف الحضور: أنفسكم، وهو التفاتٌ بلاغيٌّ يستوقفُ النظر، ويحيلُ العقلَ إلى دقة اللفظ بضمائره وصيغه، غَيْبَة وحضورًا، فلمّا كانت السخرية تجري من جمع لجمع أو فرد لفرد على السواء وَظَّفَ الغَيْبَة لتكون أجدى نفعًا وأثرًا، وحين كان اللمز والتنابز – وغالبًا لا يخلو أحدٌ من غمز وتنابز– جاء بالحضور؛ لِذا أفرد الضمير في نهاية الآية فقال "يتب" ولم يسنده لجمع، ليُعلم أنَّ اللمزَ والتنابزَ ذاتيُّ النزعة والتوجُّه، بينما تشيع السخرية بين المجتمع في معظم طبقاته. ولأنَّ اللمز والغمز والتنابز جزءٌ منَ السخرية ونتاجها "لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، وَيُقصَدُ بـ"أن" إفادة الشياع، وأن تصير كلُّ جماعة منهم منهية عن السخرية، وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد، إعلامًا بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية، فيؤدي ذلك -وإن أوجده واحد- إلى تكثير السخرية وانقلاب الواحد جماعة وقومًا".[٢٩]

وحين أراد تنقية المجتمع من عيب يشيع بينهم في مجالسهم وسمرهم خاطبهم كذلك بالنداء "يا أيُّها الذين آمنوا"، موظِّفًا أفعالَ الأمر مسندةً إلى واو الجماعة: اجتنبوا، تجسّسوا، ولعلَّ إيحائيَّة هذا الأمر المسند إلى الجمع تتمثَّلُ في أنَّ تلك الأفعال تحدثُ بين أفراد المجتمع، غيرَ أن لا أحد يعترف أنه يتجسَّسُ أو يسيءُ الظنَّ أو ما شابه، فلو أنه أفردها لَصَعُبَ ذلك على المتلقّين وأصابهم العَنَت، وفي الوقت نفسِهِ لو أنه وَظَّفَ ضمائرَ الحضور لكانت المواجهة قاسية شديدة، وكان لا بُدَّ من أمر ونهي ليستقيم المجتمع ويتخلَّصَ من تلك الآفات معَ الإبقاء على التودُّد والتلطُّف؛ لِذا كانت أفعالُ الأمر أكثرَ هيمنة على النصّ من غيرها، كما تسلَّطت ضمائرُ الغَيْبَة على الأفعال وانصهرت بها، وانفرد فعلُ أمر واحد فَأُسنِدَ إلى هيئة جزئيَّة منَ المجتمع هي الغِيْبة "لا يغتب"، والفاعلُ ظاهرٌ لكنه غير معيَّن "بعضكم"، والبعضُ جزءٌ منَ الكل، غيرَ أنه خاطبهم في هذا الوضع بالحضور بالكاف إشعارًا إلى أنَّ الفعل مخاطبٌ به مَنْ في المجتمع على اختلاف مستوياتهم وثقافتهم، وعندما أراد تصويرَ فظاعة الغِيْبَة وَظَّفَ متابعًا الآية وسياقها بالحضور "أَيُحِبُّ أحدُكم"، فأسند الفعلَ إلى أحدكم مُشعِرًا أنَّ أحدًا منَ الأحدين لا يحبُّ ذلك".[٣٠]

وَيُتَصَوَّرُ أنَّ ذلك مشاركة في تبغيض الفعل وتنكيره، وربَّما لمشاركة المتلقّين لكراهية الفعل حتى يتجسَّدَ لديهم إحساسٌ بما يتلقّونه ويدركونه؛ لأنَّ غاية النصّ مشاركةُ القارئ والمتلقّي الوجدانيَّةَ والعقليَّةَ لتتعدّى ذلك كلَّه إلى المشاركة الاجتماعيَّة، "ولا شكَّ في أنَّ لمشاركة القارئ في شِفرة المؤلِّف الجماليَّة تجلياتٍ اجتماعيَّةً واضحة، وهي تأتي نتيجة عمليَّة ترسيخ ثقافي"[٣١]، وبعد هذا الربط

المحكم والسياق المتين واستقرار كلٍّ منَ الحضور والغَيْبَة في مكانه الدقيق وموقعه منَ الجملة وصفَ الفرد وهو يمارسُ هذا الفعلَ الشنيع فأفرد الضمائر: أَيُحِبُّ، يأكل، وحين نظرَ إلى نتائجه وما يترتَّبُ عليه قال: كرهتموه، والكراهة غاية في التقزُّز، وهو ممّا يعافه المرء؛ لذا أسنده إلى واو الجمع، وكأنه يريد أن يوصِلَ المتلقّين أو المتلقّي ومن يمارس هذا الفعل إلى أنَّ الجمع يكرهونه ويكرهون فعلَهُ تقزُّزًا وَأَنَفَةً ممّا جاء به، فإذا كرهوه كرهوا هذا الفعل، "ثم يبادر فيعلِنُ عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز وأنهم –إذن- كرهوا الاغتياب"[٣٢]؛ لِذا جاء به على صيغة الماضي؛ لأنَّ كراهية مثل هذا الفعل قديمة، وهي "أكل لحم الأخ ميتًا".

يظهر أنَّ كلَّ ما سبق كان خطابًا خاصًّا لفئة معيَّنة لها خصوصيتُها وأحكامُها ونظامُها فيما بينها، ففصِّلَ القولُ فيها غاية التفصيل، وتدرَّجَ بها لترتقي لمبادئَ إنسانيَّةٍ راقية منظَّمة لا اختلالَ فيها ولا اضطراب، آخذًا بهم إلى أفق سامٍ وضيء منَ الآداب النفسيَّة والاجتماعيَّة لضمان كرامتهم وحريتهم، فكان لابُدَّ منَ الحضور بضمائره ليستقيمَ السياقُ ويأخذَ مكانَهُ في نفوسهم وتتألَّفَ به قلوبُهم لصيانة حرماتهم؛ لأنَّ الحضورَ جمعٌ، والأصلُ في الجمع أن يحرص كلٌّ منهم على صيانة خصوصيَّة الفرد والجمع معًا. ولمّا كان الأمرُ كذلك، وَوَظَّفَ جانبَ الحضور والغَيْبَة جليًّا في الخطاب والنص، تدرَّجَ بهم إلى أفق عالٍ كشف عن مبدأ الإنسانيَّة وأساسها على اختلاف أصنافها وألوانها وهيئاتها، فكان المقطع التالي:

المقطع الخامس

تناول هذا المقطعُ خطابَ الناس جميعًا، واستُهِلَّ بقوله سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحُجرات: (١٣)]، "فالمرادُ جنسُ الناس لا كل فرد، وإلّا فمعلوم أَّن غيرَ المُكَلَّفِ لم يدخل تحت هذا الخطاب، وهكذا يغلبُ في خطاب أهل مكَّةَ، كما سبق"[٣٣]، وَتَصَوُّرُ الخطاب بهذه الصيغة يحيلُ العقلَ والتفكير الذهني إلى أنَّ الناس جميعًا تربطهم وشائج القُربى وصلة الرحم والتناسب فيما بينهم، وكما ذُكِرَ في بداية الدراسة فإنَّ النداء يُفهم منه حضورٌ بنحوٍ ما للمخاطب المنادى، غيرَ أنَّ المنادى هم الناس، ويشمل ذلك كلَّ مَنِ اتَّصَفَ بالإنسانيَّة؛ إذ لم يستثن منهم أحدًا؛ لِذا ازدحمت فيها ضمائرُ الحضور على نحو لافت: خلقناكم، جعلناكم، تعارفوا، أكرمكم، أتقاكم، وبدت في مكانها حيَّةً نشطة، وكأنَّ الخطاب حضوري تصوُّري ذهني؛ إذ لا يستطيع أحدٌ أن ينادي الناسَ جميعًا في وقت واحد وآن واحد حيًّا أو ميتًا أو من لم يستقبلِ الحياة بعد، غيرَ أنَّ النصَّ جاء بهذه الصيغة وهذا النداء الذي لا يملكه إلّا من ملك القدرة والسيطرة، وتمثلت لديه الهيمنة، فسياقُ الآية تناول أصلَ الإنسانيَّة، ولابُدَّ لكلِّ سياق من أن يراعيَ المتلقّين وتطلُّعاتهم، "ويكون الحضورُ والغَيْبَة رافِدَيْنِ حقيقيَّيْنِ للسياق، من حيثُ الفهمُ والإدراك، ووصولُ الغاية منَ النصِّ ليجلوَ الفهم، وَيَظهَرُ أنَّ لكلِّ سياق

حضورًا مخصصًا به يُراعى فيه المخاطبون ومكانتهم، فخطابُ العامَّة غيرُ خطاب الخاصَّة، وفي كلٍّ يكون للحضور والغَيْبَة بالغُ الأثرِ في تصوير ذلك وإبرازه".[٣٤]

إنَّ خطاب الحضور والغَيْبَة في النص يوائم بين حالات المتلقين، وَيُغَلِّبُ السياقَ الذي جاء به، فلا الحضور يأخذ وظيفة الغَيْبَة ولا الغَيْبَة تسدُّ مسدَّ الحضور؛ إذ لكلٍّ واحد خصوصيّة وميزة، فخطابُ الحضور وضمائره المتصلة بأفعاله وأسمائه تهتف بهم إلى أمر ما لا يتجاوزنه، لكنَّه يُلمَحُ في الغَيْبَة الإعراضُ والإهمال، أو صونُ المخاطب ونفسه عنِ التصدُّع أو التأثُّر، وربَّما التأزم؛ لِذا فإنَّه ينبغي لمنتج النصّ أو ملقيه أن يراعيَ ذلك الأفقَ ويخاطبَ المستوياتِ الثقافيّةَ والاجتماعيَّةَ بما يحفظ لهم حقَّ تقبُّلِ النص والتأمُّلِ فيه، ومن ثَمَّ مشاركتهم وتفاعلهم فيه وموقفهم منه.

المقطع الأخير

هيمن الحوارُ والجدلُ على هذا المقطع ما بين قولٍ وردٍّ وَحُجَّةٍ إزاءَ حُجَّة، فافتُتِحَ بقوله جَلَّ ذكرُه: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[الحُجرات: ١٤-١٨]، واستُهِلَّ بفعل ماضٍ يُلمح فيه الغَيْبَة "قالت الأعراب"، فجاء الردُّ فوريًّا بفعل أمر "قل" خطابًا حضوريًّا للنبي ﷺ، وتتابع السياقُ ما بين الحضور والغَيْبَة: "ولكن قولوا"، و"لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم"، والسياق يغيّبُ حضورَ الأعراب عن هذا المشهد في مطلع المقطع، وقد جرى الحوارُ ما بين غائب يُتَحَدَّثُ عنه وأمرٍ منَ الله ﷻ لرسوله يُفهم منه أنَّ الأعرابَ في غَيْبَة عن حقيقة حضورهم وإدراكهم لمصطلح الإيمان والإسلام، وحين أنهى الحديثَ عنهم بالغَيْبَة أحضرهم لاحقًا ليواجههم بما غابَ عنهم إذ ظنّوا أنهم أدركوا ما الإيمان وما الإسلام، فخاطبهم بالحضور ليفجأهم بما غاب عنهم: قلوبكم، تطيعوا، يلتكم، أعمالكم، فبدت لفتةً بلاغيَّةً بمجادلتهم ومحاورتهم.

وعليه، فحين اشرأبت نفوسهم إلى مراتبَ عَلِيَّةٍ لم يبلغوها وظنّوا أنهم قد أنجزوا ما طُلب منهم تعاليًا وَسَلَطًا، أعرضَ عنهم وأجرى الحديث في غَيْبَة منهم، ثمَّ لمّا أراد مواجهتهم بالأمر وَظَّفَ ضمائرَ الخطابِ الحضوريَّةَ بالكاف أو التاء، فأعطى تلوُّنُ الخطاب بهذه الصورة النصَّ دفقةً حيويَّة نشطة في نقله والتأمُّلِ فيه، "ولمّا كان الخطابُ مشاركة بين مُلقٍ ومستمع، ولا يكون إلّا بين طرفين يتجاذبان

جوانبه، فحالُ السامع معنِيَّةٌ مرعِيَّة لأنه مقصود بالكلام والملقى إليه سياقه، بل هو المعنِيُّ به، فَشَدَّ انتباهَهُ ونظرَه، وهو دورٌ مهمٌّ في عمليَّة الخطاب والإلقاء.(٣٥)

إنَّ علاقة الحضور والغَيْبَة تبني مجموعة منَ الروابط والوشائج السياقيَّة العميقة وَتَتَّخِذُ منه طريقًا لإثراء النقد والتناسق بين أجزاء الكلام، فعندما نفى في الآية الأولى أن يكونوا مؤمنين بل مدَّعين للإيمان، وفرَّقَ بين الإسلام والإيمان، كان لزامًا أن يتابع السياق بتعريف الإيمان؛ إذ غاب عنهم، فقال:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحُجرات: ١٥]، فأجرى الحديثَ بضمائر الحضور الكاف والتاء، وتلك لفتةٌ بلاغيَّةٌ واضحة، فحينَ غابَت عنهم معرفة حقيقة المصطلح (الإيمان)، وظنوا المصطلح الآخرَ (الإسلام) هو الإيمان، أجرى الحديث بالغَيْبَة ليدركوا أنَّ في غياب المصطلح عنهم غيابًا عن قلوبهم، وإلاّ فهذا هو الإيمان الذي لا تعرفونه: إيمانٌ ثمَّ طاقةٌ ثمَّ عدمُ ارتيابٍ ثمَّ جهادٌ بالمال والنَّفْس في سبيل الله. "وإذا كان الالتفات كما سبق في الأفعال والضمائر فإنه بذلك يُحصر في هذين النوعين: الضمائر والأفعال، فالضمائرُ في تلوُّن ضمير المخاطب من حضوره إلى غيبته، والأفعالُ منَ الحاضر إلى المستقبل أو الماضي إلى الحاضر".(٣٦)

وتجسَّدَ الحضورُ في مخاطبة من لم يعلم أو يستطعِ التفريقَ بين لوني الإسلام والإيمان حين وَجَّهَ لهم الخطابَ حضوريًّا، وهي تواجهةٌ حمل معنى القوة والشدة، فقال ﷻ: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الحُجرات: ١٦]؛ إذ يبرزُ دورُ المناسبة مجلِّيًا الموقفَ، فبعض من أسلم قال ذلك للنبي ﷺ، فنزلت: "ولكن إنَّما أُنزلت في حي من أحياء الأعراب امتنّوا بإسلامهم على نبي الله ﷺ، فقالوا: أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله: لا تقولوا آمنا، ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم"(٣٧)؛ وَبِذا يبدو أنَّ المناسبة كانت متعيّنة في الخطاب بهذه المواجهة، صفعًا في وجوههم، أن جهلوا حقيقة موقفهم ما بين الإسلام والإيمان، فجاء السياقُ يحملُ خطابًا حضوريًّا بالتاء والكاف: أتعلمون، دينكم؛ ليكون أكثرَ بلاغةً وقوَّةً في تصويب الموقف حين يتجاهلُهُ المخاطبُ، "فإنَّ الالتفاتَ كان هنا ضرورةً يبدأ منها سياقٌ آخَرُ عن شخصيات لها شأن في المناسبة والمقام، ويظهر التهديد إبلاغًا للمخاطب بهذا الالتفات".(٣٨)

ولمّا كان السياقُ والمقام يقتضيان حضورًا للمخاطب من نوع خاصٍّ، فقد تابع سبحانه بالخطاب الحضوري قائلًا: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحُجرات: ١٧]، فحُشدت ضمائرُ الخطاب الحضوري: عليك، قل،

تمنّوا، إسلامكم، عليكم، هداكم، كنتم، ثمَّ جاءت الأفعالُ المضارعة: يمنون، يمن، فجاء الحضورُ في هذه الآية موجَّهًا إلى قوم رأوا في أنفسهم رفعةً وَعُلُوًّا، فأراد أن يقفهم أنَّ ذلك لم يكن عن حصافة ومعرفة منكم وخبرة في الأمور إنما هو توفيق، وليس كسبًا كما تتصوَّرون؛ لذا أمر النبي ﷺ، بالقول لهم مواجهةً ليس فيه تورية أو محاباة نظرًا إلى موقفهم وشموخ أنوفهم، في حين أنه غَيَّبَ في مطلع الآية حضورَهم وذكرَهم بالغَيْبَة "يمنون، أسلموا"، فلمّا كان المنُّ-وهو صفةٌ قبيحة- جاء الردُّ بالحضور علانيةً حضوريًّا ليردع قولهم، وفي الوقت نفسِه ليوجِّههم الوجهةَ الصحيحة تصويبًا لموقفهم وتعاليهم.

وختم المقطع برد العلم إلى صاحب العلم سبحانه؛ كي لا يتطاول متطاولٌ على مقامه، فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[الحُجرات: ١٨]؛ وَبِذا جاء الخطابُ هادئًا لكلّ المتلقّين، فأحضرهم في آخر كلمة في السورة "تعلمون"، جامعًا إيّاهم على اختلاف ثقافاتهم ودرجاتهم على أنَّ صاحب القدرة هو من يعلمُ كلَّ ما تتصرَّفون به، وهو البصيرُ بكلّ شيء في هذا الكون؛ ليجعلَ السياق مفتوحًا أمام المتلقّين إثارةً لعقولهم وتنبيهًا لأذهانهم وتصوُّراتهم.

وعودًا على بَدء، جاءت خاتمة السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[الحُجرات: ١٨]، فحين بدأها بالنداء "يا أيُّها الذين آمنوا" ختمها باطلاع الله على النفوس ونوايا القلوب، فناداهم في المطلع بالتأدُّب معَ الله ورسوله ﷺ، وأن يغضّوا أصواتهم عند رسول الله ﷺ، وتلك خبايا نفوس لا يطَّلِعُ عليها أحدٌ؛ إذ لا يعلمُ بتصرُّف الخلق أحد، وذكر الذين ينادون الرسول من وراء الحُجرات وفيه من إساءة الأدب ما فيه، وربَّما كانت تصرُّفاتُهم نابعةً من طبيعة عيشهم وثقافتهم واختلافها عن ثقافة أجِلَّةِ الصَّحابة الملاصقين لرسول الله، بل لعلَّه كان في قلوبهم حبٌّ للقائه ﷺ لكن غلبت عليهم طبائعُ البداوة والأعراب. وعليه، جاء الختام أنَّ الله يعلمُ ما في النفوس والقلوب ويطَّلِعُ عليها.

ولمّا كان المنُّ منهم على رسول الله ﷺ جهلًا بحقيقة الإيمان والإسلام ولم يفرِّقوا بينهما، جاء التوجيهُ من عالم السموات والأرض فأرشدهم إلى أنَّ علمَهُ شاملٌ محيطٌ بناءً على خبرة وبصر دقيق.

الخاتمة:

وبعدُ

فقد خَلَصَتِ الدراسةُ إلى أنَّ الحضورَ والغَيْبَة ثنائيّةٌ كلاميَّة بلاغيَّة، وهي جزءٌ منَ الالتفات، وهي ممّا يثيرُ المتلقّي وينشِّطُ السمعَ والعقلَ، وقد أحضرت هذه الثنائيّة أقوامًا أو أشخاصًا وَغَيَّبَت آخرين ممّا يقتضيه السياقُ والمقام؛ بُغيةَ تسليط الضَّوء على نقطة حساسة؛ إذ بهذه الثنائيّة يستطيع منتجُ النصِّ أن يخاطبَ أقوامًا سوى آخرين اختصاصًا، سواءٌ أكان ذلك للمدح أم للذم، ويوجِّه

كلامه للحاضر أو الغائب فيبرز من أراد إلى سطح النصّ ويترك آخرين يغوصون في العمق؛ لِذا يحشد الضمائرَ حَسَبَ الموقف ليحمل في طيّاته بعدًا تصويريًّا لنماذجَ محدَّدة؛ وَبِذا يمكن للنصّ أن يخاطب أيًّا منَ الناس على اختلاف ثقافتهم وطباعهم وأفعالهم من غير أن يخدش شعورهم؛ لأنَّ الحضورَ في الغَيْبَة مندومةٌ عن المواجهة بالذم وغيره، ويمكنه الحديثُ في أيّ قضيَّة عامَّة أيًّا كانت، فَلِكُلٍّ منَ الحضور والغَيْبَة وظيفةٌ يؤديها لا يمكن لغيره أن يقوم بها، وهي بذلك تُطَوّعُ اللغةَ وتتناولُ الأمورَ المختلفة وتبني مجموعةً منَ الروابط السياقيَّة تُثرى الأبعادَ النقديَّة وتتناسقُ في ما بينها.

وتوصي الدراسةُ بتناول ثُنائيَّة الحضور والغيبة في سور القرآن على نحوٍ خاصٍّ وفي بعض النماذج الشِّعريَّة على نحوٍ عام؛ لِما لهذه الثنائيَّة من عُمق في تحليل النصّ وَسَبر أغواره وإبراز أين تقفُ الضمائرُ والأفعالُ بالمتلقي في فهم النصّ وتحريك فكره وتوسيع مداركه.

قائمة المراجع:

- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م٤، ط(١)، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو عودة، عودة، شواهد الإعجاز القرآني، دار عمّار، عمّان، ط(١)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الأنصاري: ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، دار نشر الكتب الإسلاميَّة، لاهور، م١، ط (١)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- بازي: محمد، التأويليَّة العربيَّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط(١)، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- البحراني، كمال الدين هيثم، أصول البلاغة، تحقيق: عبدالقادر حسين، دار الثقافة، قطر، ط(١)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. وانظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م.
- الخطابي: محمد، لسانيات النصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت، ط(١)، ١٩٩١م.
- الدرويش: محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة للطباعة، سوريَّة، م٩، ط(٣)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الرافعي: مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٩)، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
- الرواشدة، سامح عبد العزيز، جماليات التعبير في القرآن الكريم، الصايل للنشر، عمّان، ط(١)، ٢٠١٢-٢٠١٣.
- روميَّة: وهب، الشِّعر والناقد، عالم المعرفة، رجب ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م.
- الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، م٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكاشف عن حقائق التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م٤، ط(٢)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الزهيري، محمود حسين، أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عَمَّ، دار وائل، عمّان، ط(١)، ٢٠١٤م.
- الزهيري، محمود حين، الأدب الراشدي رؤية ومنهج، دار الفكر، عمّان، ط(١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- صمود: حمادي، التفكير البلاغي عند العرب: أُسُسُهُ وتطوُّرُهُ إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسيَّة، ١٩٨١م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، ت: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م٢٦، ط(١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- عابد: محمد صابر، إشكالية الخطاب النقدي وديناميَّة النصّ النقدي الخلّاق، جريدة الأسبوع الأدبي، عدد (٩١٠)، ٢٠٠٤/٦/٥م.
- عبّاس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط(٤)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- فريس: إيمانويل، قضايا أدبيَّة عامَّة، ترجمة: لطيف زيتوني، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ذو الحِجَّة ١٤٢٤ – ٢٠٠٤م.
- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، م١٦.
- قطب، سيِّد، في ظلال القرآن، دار الشروق، م٦، ط(١٥)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الملائكة: نازك، قضايا الشِّعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١٠)، ١٩٩٧م.

الهوامش:

(١) البحراني، كمال الدين هيثم، أصول البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الثقافة، قطر، ط(١)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٨٣.
وانظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت: عبدالقادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٣٦.

(٢) انظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص١٩٩، والقزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص٧٥.

(٣) عابد: محمد صابر، إشكاليّة الخطاب النقدي وديناميّة النص النقدي الخلّاق، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد (٩١٠)، ٢٠٠٤/٦/٥م.

(٤) الخطابي: محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت، ط(١)، ١٩٩١م، ص٥٢-٥٣.

(٥) الزهيري، محمود حسين، أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عَمَّ، دار وائل، عمان، ط(١)، ٢٠١٤م، ص١٣٢.

(٦) السابق، ص١٣٢.

(٧) انظر القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ١٦/٣٠٠-٣٠١.

(٨) قطب، سيّد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط(١٥)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨، مجلّد (٦)، ص٣٣٣٨.

(٩) في ظلال القرآن، مجلّد (٦)، ص٣٣٣٨.

(١٠) انظر: الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٢٤٧/٢.

(١١) الأنصاري: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، دار نشر الكتب الإسلاميّة، لاهور، ط (١)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤١٣/١.

(١٢) الملائكة: نازك، قضايا الشِّعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١٠)، ١٩٩٧م، ص٢٧٦.

(١٣) البرهان في علوم القرآن: ٢٧٨/٢.

(١٤) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١)، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٩٩/٤.

(١٥) البرهان في علوم القرآن، ٣٣٦/٢.

(١٦) الزهيري، محمود حسين، الأدب الراشدي رؤية ومنهج، دار الفكر، عمّان، ط(١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص٣١.

(١٧) الدرويش: محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة للطباعة، سوريّة، ط(٣)، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ٢٦١/٩.

(١٨) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٢)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٣٥٩/٤.

(١٩) في ظلال القرآن، ٣٣٤٠/٦.

(٢٠) الرواشدة، سامح عبد العزيز، جماليات التعبير في القرآن الكريم، الصايل للنشر، عمّان، ط(١)، ٢٠١٢-٢٠١٣، ص١١٧.

(٢١) بازي: محمد، التأويليّة العربيّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط(١)، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢٢) لسانيات النص، ص١٧٥,

(٢٣) انظر إعراب القرآن وبيانه، ٢٦٣/٩.

(٢٤) في ظلال القرآن، ٣٣٤٣/٦.

(٢٥) أبو عودة، عودة، شواهد الإعجاز القرآني، دار عمّار، عمّان، ط(١)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٤١.

(٢٦) عبّاس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط(٤)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ص٦٦-٦٧.

(٢٧) الرافعي: مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٩)، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م، ص٢٢٧.

(٢٨) روميّة: وهب، الشِّعر والناقد، عالم المعرفة، رجب ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م، ص٢٧٠.

(٢٩) الكشاف: ٣٧٠/٤.

(٣٠) الكشاف: ٣٧٦/٤.

(٣١) فريس: إيمانويل، قضايا أدبيَّة عامَّة، ترجمة: لطيف زيتوني، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ذو الحِجَّة ١٤٢٤ – ٢٠٠٤م، ص٥٢.

(٣٢) في ظلال القرآن، ٣٣٤٧/٦.

(٣٣) البرهان في علوم القرآن، ٢٤٥/٢.

(٣٤) أثر السياق في توجيه المعنى القرآني، ص١٤٥.

(٣٥) صمود: حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أُسُسُهُ وتطوُّرُهُ إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسيَّة، ١٩٨١م، ص٢١٠.

(٣٦) أثر السياق في توجيه المعنى القرآني، ص٣٢٦.

(٣٧) المرجع نفسه، ص٣٢٨.

(٣٨) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، ت: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص١٦٣/٢٦.